



المركز الوطني للمتميزين
NATIONAL CENTER FOR THE DISTINGUISHED

الجمهورية العربية السورية

وزارة التربية

المركز الوطني للمتميزين

حلقة بحث للصف الأول الثانوي بمادة الفلسفة بعنوان :

التحليل النفسي ونظريته في الأحلام

إعداد الطالبة : مريم خيربك

إشراف المدرس : شادي العمر

٢٠١٦ – ٢٠١٥

الفهرس

٢.....	الفهرس
٤.....	التمهيد
٥.....	المقدمة
٦.....	أهداف البحث
٦.....	إشكالية البحث
٧.....	الشخصية
٧.....	الهو
٧.....	الأنا
٨.....	الأنا الأعلى
٩.....	العلاقة بين هو والأنا والأنا الأعلى
٩.....	الكيفيات النفسية
١٠.....	الشعور
١١.....	قبل الشعور
١٢.....	اللاشعور
١٣.....	الأحلام
١٣.....	تشكل الحلم وأساسيات تكوينه
١٦.....	أحلامنا تنسى
١٧.....	الأحلام النموذجية
١٩.....	الخاتمة
٢٠.....	المصادر والمراجع

التمهيد

ولد سيجموند فرويد عام ١٨٥٦، درس الطب في فيينا، واهتم بالأبحاث الفسيولوجية والتشريحية المتعلقة بالجهاز العصبي وقام بعدة أبحاث في تشريح الجهاز العصبي، في ١٨٨١ حصل فرويد على دكتوراه في الطب، في ١٨٨٢ اشتغل طبيباً في المستشفى الرئيسي فيينا. نشر بعض الأبحاث الهامة في تشريح الجهاز العصبي وفي الأمراض العصبية، مما لفت إليه الأنظار. نشأت صداقة بين فرويد وجوزيف بروير (أحد أطباء فيينا المشهورين) وتأثر فرويد به كثيراً، كان بروير يستخدم الإيحاء التتويمي في معالجة مرضاه، يقوم الإيحاء على تتويم المريض ففي هذه الحالة يذكر المريض الكثير من الأحداث والانفعالات التي كانت مكتومة عنده. سافر فرويد إلى باريس حيث التقى ب (شاركو) الذي كان يقوم بأبحاث في الهستيريا وشاهد فرويد أنه يمكن إحداث أعراض الهستيريا أو إزالتها باستخدام **الإيحاء التتويمي**. عاد فرويد إلى فيينا واشتغل طبيباً خاصاً وعمل على معالجة مرضاه بالإيحاء التتويمي، ولكنه وجد فيها بعض العيوب. فجدد اتصاله ب(بروير) واشتركا في مواصلة البحث العلمي في أسباب الهستيريا وطرق علاجها ونشرا كتاب (دراسات في الهستيريا) الذي احتوى على البذور الأولى لنظرية التحليل النفسي وشرحا في هذا الكتاب عن طريقة **التفريغ** وأهميتها في علاج الهستيريا، وتقوم هذه الطريقة على حث المريض أثناء التتويم المغناطيسي على تذكر الحوادث والخبرات الماضية، وعلى التفيس عن العواطف و الانفعالات المكبوتة. ثم أخذت آراء فرويد تختلف عن آراء بروير فدب بينهما الخلاف وانقطعت بينهما الصلة. بعد ذلك أخذ فرويد يواصل عمله بمفرده بعزم كبير. كان فرويد يعتمد أسلوب التفريغ إلى أن وجد بعض العيوب فيها مثلاً وجد بعض المرضى الذين لم يتمكن من تتويمهم كما أن الشفاء كان مؤقتاً يزول أثره بعد فترة فتعود الأعراض المرضية نفسها. فبدأ فرويد يبحث عن طريقة أخرى إلى أن اكتشف طريقة **التداعي الحر** التي تعتمد على أن يقوم المريض بسرد ما حصل معه من أحداث وكل ما يخطر في باله من أفكار مهما كانت معيبة أو مؤلمة (في حالة اليقظة) اكتشف فرويد بهذه الطريقة حقائق هامة وتوصل إلى أن الحوادث التي كان من الصعب على المريض تذكرها هي الحوادث المشينة والمؤلمة لأن المقاومة الشديدة كانت تعيق وصول هذه الذكريات إلى الشعور وهذا كان السبب في نسيانها. ومن هذه الملاحظات كون فرويد نظريته في الكبت واعتبرها الحجر الأساسي للتحليل النفسي.

المقدمة

بعد اكتشاف شاركو وفرويد لطريقة الإيحاء التنويمى ومعالجتهما للمرضى بهذه الطريقة، تبين لفرويد بعض العيوب فيها، فعمد إلى الاتصال ببروير وعملاً معاً فقاما ببعض الأبحاث إلى أن توصلا إلى طريقة التفريغ. لكن نشب خلاف بين فرويد وبروير، فعمل فرويد بمفرده، وتبين له بعض العيوب في هذه الطريقة أيضاً، لذلك عمل بمفرده إلى أن توصل لطريقة التداعي الحر ومن خلالها توصل إلى نظرية الكبت واعتبرها أساس التحليل النفسي. رأى فرويد أن الكبت يحدث بسبب الصراع بين رغبتين متضادتين، وذكر نوعين من الصراع بين الرغبات، أولهما يحدث في دائرة الشعور، وتنتهي بحكم النفس لصالح إحدى الرغبتين والتخلي عن الأخرى (وهذا هو الحل السليم للصراع بين الرغبتين) ولا ينتج عنه ضرر للنفس.

أما النوع الثاني: تقوم فيه النفس بصد إحدى الرغبتين من دون إعمال الفكر وإصدار حكمها فيه، وينتج عن ذلك أن تبدأ الرغبة المكتوبة حياة شاذة في اللاشعور وهناك تبقى محتفظة بطاقتها، وتظل تبحث عن مخرج لانطلاق طاقتها المحبوسة، فتجده في الأعراض المرضية التي تنتاب العصائبيين فوجد فرويد أن مهمة الطبيب النفسي هي الكشف عن الرغبات المكبوتة وإعادتها إلى دائرة الشعور، بدلاً من دفعه إلى تفريغها كما كان يفعل مع بروير سابقاً، فيواجه المريض هذا الصراع الذي فشل في حله سابقاً ويعمل على حله بإصدار حكمه فيه تحت إرشاد الطبيب النفسي، وهي عبارة عن إحلال الحكم الفعلي محل الكبت اللاشعوري، ومنذ ذلك الوقت أطلق فرويد على هذه الطريقة في العلاج اسم "التحليل النفسي".

أهداف البحث:

- التعرف إلى الجهاز النفسي
- التعرف إلى الكيفيات النفسية
- معرفة كيف تتشكل الأحلام
- لماذا ننسى بعض أحلامنا؟
- التعرف إلى معنى الحلم النموذجي

إشكالية البحث:

ما هو التحليل النفسي وعلى ماذا يعتمد؟؟؟ وما علاقته بالأحلام؟؟؟
هل تعبر الأحلام عن أحداث ماضية أم تنبؤنا بالمستقبل؟؟؟؟؟ ولماذا تبدو الأحلام بهذه
الغريبة؟؟؟؟؟ وهل يمكننا أن نستفيد من التحليل النفسي في فهم أحلامنا؟؟؟
انطلاقاً من هذه الأسئلة التي أحببت أن أعرف أجوبتها بدأت حلقة بحثي.

العرض

الشخصية :

>>إن ما نسميه نفسنا (الحياة النفسية) معروف لدينا على نحوين: الأول عضوها الجسمي ومسرحها الذاتي، أي المخ (الجهاز العصبي)، الثاني أفعالنا الشعورية وهي معطيات مباشرة إذ لا يمكن لوصف أيّ كان أن يزيدنا قريباً منا، وكل ما يقع بين هذين الطرفين مجهول بالنسبة لنا.<<^١.

كل ما نعرفه عن الجهاز النفسي توصلنا إليه من خلال دراسة التطور الفردي للوجود الإنساني، فتبين لفرويد أن الجهاز النفسي يتألف من ثلاثة أقسام وهي (الهو، الأنا، الأنا الأعلى) فما معنى كل من هذه الأقسام .

الهو :

/هو القسم من الجهاز النفسي الذي يحوي كل ما هو موروث وموجود منذ الولادة، وكل ما هو ثابت في تركيب البدن، كما يحوي العمليات النفسية المكبوتة التي فصلتها المقاومة عن الأنا، ويتألف الهو من الميول الغريزية التي تصدر عن التنظيم الجسمي وتجد هنا أول تعبير نفسي عن ذاتها في صور نجهلها. ويطيع الهو مبدأ اللذة فلا يراعي المنطق أو الواقع أو الأخلاق/^٢، /تعتبر قوة الهو أيضاً عن الغاية الحقيقية لحياة الكائن العضوي وتتنحصر هذه الغاية في إشباع حاجاته الفطرية ففي الهو جزء فطري وجزء مكتسب، كما أنه يجب على الهو اكتشاف أفضل الوسائل وأكثرها أماناً لتحقيق الإشباع مع مراعاة العالم الخارجي أيضاً /^٣.

الأنا :

/هو الجزء الخارجي من الهو الذي يتغير تحت تأثير العالم الخارجي عن طريق الإدراك الحسي والشعور، فينمو هذا الجزء نمواً خاصاً، ويتوسط هذا الجزء الهو والعالم الخارجي،

^١ سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، الصفحة ٢٥

^٢ سيجموند فرويد، الأنا و الهو، الصفحة ١٦ بتصرف

^٣ سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، الصفحة ٢٩ بتصرف

ويستهدف المحافظة على الحياة واتقاء الأخطار عن طريق القلق ويكتسب الأنا خصائص معينة^١.

الخصائص الرئيسية للأنا:

١. /يسيطر الأنا على الحركات الإرادية نتيجة العلاقة المكونة بين الإدراك الحسي والفعل العضلي.

٢. يقوم بمهمة حفظ الذات ويؤدي هذه المهمة بأن يتعلم معالجة المثيرات الخارجية فيقوم بإدخال خبرات تتعلق بها في الذاكرة، ويتقاضي المثيرات المفرطة بالهرب، ويستقبل المثيرات المعتدلة بالتكيف.

٣. يكتسب السيادة على مطالب الدوافع الغريزية في الهو فيقرر إذا كان يجب السماح لها بالإشباع أو تأجيل هذا الإشباع لأحيان وظروف مواتية بالعالم الخارجي أو قمع تنبئاتها نهائياً. والأنا في أفعاله هذه خاضع لاعتبار التوترات التي تحدثها المنبهات القائمة فيه الواردة عليه فيستشعر ارتفاعها ألماً وانخفاضها لذة. يبدو أنه من المحتمل أن ما يستشعره لذة أو ألماً ليس الدرجة المطلقة لهذه التوترات بل هو شيء مرده إلى إيقاع تغييرها. والأنا يسعى وراء اللذة ويتجنب الألم. فالزيادة المتوقعة أو المترتبة في الألم يستجاب لها بنذير القلق والمناسبة التي تحدث فيها سواء كانت تهدده من الداخل أو الخارج تسمى خطراً. إذاً الأنا يمثل الحكمة وسلامة العقل على عكس الهو الذي يحوي الانفعالات^٢.

>>بين الحين والحين يفقد الأنا صلته بالعالم الخارجي ويعود إلى حالة النوم حيث يحدث في تنظيمه تغيرات بعيدة المدى، ويمكن أن نستنتج من حالة النوم هذه أن هذا التنظيم ما هو إلا توزيع معين للطاقة النفسية^٣.

الأنا الأعلى :

^١ سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، الصفحة ٢٦ بتصرف

^٢ سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، الصفحة ٢٦-٢٧ بتصرف

^٣ سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، الصفحة ٢٧

/هو الأثر الذي يبقى في النفس من فترة الطفولة الطويلة حيث يعيش فيها الطفل معتمداً على والديه وخاضعاً لأوامرهما ونواهيهما. ويقوم الأنا الأعلى عادة بتقمص شخصية الوالدين ومن يشبههما من المدرسين والمربين، وبذلك تتحول سلطة هؤلاء الأشخاص الخارجية إلى سلطة نفسية داخلية في نفس الطفل وتقوم بمراقبته وتصدر إليه الأوامر، وتتفده، وتهدهد بالعقاب. ويوجد الأنا الأعلى حينما توجد فترة طويلة من الاعتماد الطفلي. ويقدر ما ينفصل الأنا عن الأنا الأعلى أو يعارضه تنشأ قوة ثالثة ينبغي على الأنا أن يحسب حسابها وبهذا تصبح للأنا مهمة شاقة جداً فيجب أن يعمل على تأمين متطلبات الهو والأنا الأعلى و العالم الخارجي و إذا فشل في ذلك تنشأ الاضطرابات العصبية والذهنية.^١

العلاقة بين الهو والأنا والأنا الأعلى :

/يمكننا تفهم العلاقة بين الأنا والأنا الأعلى من خلال علاقة الطفل بوالديه فينتقى إضافات جديدة _ خلال تطوره الفردي _ من خلفاء الوالدين كالمعلمين والشخصيات البارزة والمثل العليا في المجتمع. ونرى أن الهو والأنا الأعلى يتفان في أنهما يمثلان الماضي فالهو يمثل آثار الوراثة ويمثل الأنا الأعلى ما أخذ عن الآخرين في فترة الطفولة.^٢

الكيفيات النفسية:

/ إن تقسيم الحياة النفسية إلى ما هو شعوري وما هو لاشعوري هو الفرض الأساسي الذي يقوم عليه التحليل النفسي. فالتحليل النفسي لا يمكن أن يقبل الرأي الذي يذهب إلى أن الشعور هو أساس الحياة النفسية، فيعتبر الشعور خاصية واحدة للحياة النفسية لأن هذه الخاصة توجد مع خصائص الأخرى للحياة النفسية.^٣

/إن العمليات الشعورية ليست سلاسل متصلة متماسكة، بحيث نفترض وجود عمليات جسمية أو مادية تصاحب العمليات النفسية، فالعمليات الجسمية تكون أكثر تماسكاً من السلاسل النفسية فمنها ما يقابلها عمليات شعورية موازية لها أما البعض الأخر لا يقابله شيء، فنعتبر هذه العمليات الجسمية الجوهر الحقيقي للظاهرة النفسية (إن علم النفس يغفل بذلك الكيفية

^١ سيجموند فرويد، الأنا و الهو، الصفحة ١٧ بتصرف

^٢ سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، الصفحة ٢٨ بتصرف

^٣ سيجموند فرويد، الأنا و الهو، الصفحة ٢٥ بتصرف

الاشعورية). ولكن اشتدت الحاجة لإدخال مفهوم الاشعور بعد القصور الذي بدا في التصور السائد عن طبيعة الظاهرة النفسية، ولكن بقي هناك الكثير من الغموض و عدم التحديد^١.

/عند درس الجهاز النفسي فنحن نباشر مشاهداتنا من خلال جهاز الإدراك الحسي بمساعدة الفجوات في الظواهر النفسية مباشرة بأن نملأها باستدلالات وجيهة ونترجمها إلى مادة شعورية، وبهذه الطريقة نضيف إلى الظواهر النفسية الاشعورية سلسلة من العمليات الشعورية المكملة لها، وفي هذا العمل علينا التمييز بين أحوال معينة وهي الكيفيات النفسية، أولها الشعور لا حاجة بنا إلى تحديد معنى الشعور فالمقصود به هنا هو نفسه المعنى لدى الفلاسفة والعامّة، وكل ما عدا ذلك من الظواهر يعد لاشعوري^٢.

الشعور:

/ يرتبط فعل الشعور بالمدركات التي يتلقاها أعضاء حسنا من العالم الخارجي، فالشعور إذن ظاهرة تحدث في اللحاء الخارجي للأنا، ولكن لا شك أنه يوجد انطباعات شعورية من داخل الجسم، وهذه المشاعر الوجدانية تفوق الإدراكات الحسية الخارجية خطراً بالنسبة إلى حياتنا النفسية، وتسمى المشاعر الوجدانية بهذا الاسم تمييزاً لها عن الإدراكات الحسية الشعورية. إن أعضاء الحس نفسها هي التي تقوم بإرسال المشاعر الوجدانية و الإحساس بالألم علاوة على الإدراكات الحسية الخاصة بها. تتبعث المشاعر الوجدانية من الأعضاء المتطرفة (تعتبر هذه الأعضاء امتدادات أو مشتقات اللحاء) فهنا يحل الجسم محل العالم الخارجي فيما يتصل بالأعضاء المتطرفة للأحاسيس والمشاعر^٣.

/إن العنصر النفسي لا يكون شعورياً دائماً، كالفكرة مثلاً، إذ أن الشعور يمتاز بأنه يستمر لفترة قصيرة فقط فالفكرة التي تكون شعورية الآن لا تكون شعورية في اللحظات التالية، ولكن تستطيع أن تعود إلى الحالة الشعورية بشروط معينة. نستطيع أن نقول عن الفكرة التي كانت بين هاتين الحالتين أنها كامنة أي أنها تستطيع أن تصبح شعورية في أي وقت^٤.

^١ سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، الصفحة ٤٢ بتصرف

^٢ سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، الصفحة ٤٢ إلى ٤٦ بتصرف

^٣ سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، الصفحة ٤٧ بتصرف

^٤ سيجموند فرويد، الأنا والهو، الصفحة ٢٦ بتصرف

/والعمليات الشعورية موجودة عند سطح الأنا وكل شيء عداها في الأنا لاشعوري_ في الواقع أن الأمور عن الحيوان لا تخرج عن هذا_ ولكن الأمور تتعقد عند الإنسان وذلك لأن العمليات الداخلية في الأنا يمكن أن تكتسب صفة الشعور، ويعود هذا إلى عمل اللغة فتربط مضمونات الأنا بآثار الذاكرة المتصلة بالإدراكات البصرية، فيمكن أن تصبح العمليات الداخلية كالتصورات والعمليات الفكرية شعورية.^١

/يشرف الشعور على العمليات الحركية أي تفريغ التهيجات في العالم الخارجي وهو المنظمة العقلية التي تشرف على جميع العمليات العقلية وهذه المنظمة تستمر بمراقبة الأحلام ليلاً.^٢

قبل الشعور:

/في داخل الأنا الذي يشتمل في المحل الأول على العمليات الفكرية، توجد الكيفية ما قبل الشعورية، ويتميز الأنا وحده بهذه الكيفية. وهنا ارتباط آثار الذاكرة باللغة ليس شرطاً لوجود الحالة القبلشعورية (كما في الشعور). تتميز حالة ما قبل الشعور بإمكانية وصولها إلى الشعور. لكن بما أن الشعور عادةً سريع الزوال وما هو شعوري يستمر لحظة فحسب، وإذا كانت إدراكتنا الحسية لا تؤيد هذا القول فإن التناقض ليس إلا ظاهرياً، فيمكن أن نفسر ذلك بأن منبهات الإدراك الحسي يمكن أن تدوم أمداً ما بحيث يتكرر إدراكنا الحسي لها طوال هذا الأمد، ويمكن أن يتضح هذا الموقف في الإدراك الحسي الشعوري لعملياتنا الفكرية صحيح يمكن أن تدوم ولكن يمكن أن تزول في لمحة عين ولذا فإننا نسمي كل ظاهرة لاشعورية تسلك هذا النهج وتستطيع بسهولة أن تستبدل الحالة الشعورية بالحالة اللاشعورية بظاهرة قبل شعورية. لاحظنا من التجارب أن كل العمليات النفسية تقريباً يمكن أن تظل قبل شعورية أحياناً ولكنها كلها تجاهد للوصول إلى الشعور.^٣

اللاشعور:

/هو الكيفية الوحيدة المهيمنة في الهو، فالهو واللاشعور متصلان اتصالاً وثيقاً شأن اتصال الأنا بما قبل شعور، بل أن العلاقة هنا أقوى، ويخزن في اللاشعور الأحداث الماضية،

^١ سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، الصفحة ٤٨ بتصرف

^٢ سيجموند فرويد، الأنا والهو، الصفحة ٣١

^٣ سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، الصفحة ٤٦ و ٤٩

خلال تطور نمو الفرد وجهازه النفسي، مر الهو بعدة مراحل، ففي البداية كان الهو كل شيء، ثم نما الأنا منفصلاً عن الهو تحت تأثير العالم الخارجي وخلال هذا النمو البطيء تحولت بعض مضمونات الهو إلى حالة ما قبل الشعور، ثم أصبحت في نطاق الأنا وبقيت مضمونات أخرى ضمن الهو كما هي بلا أي تغير فتشكلت نواته التي يصعب الوصول إليها، ولكن الأنا الضعيف تخلى عن بعض المضمونات التي كان قد ضمها إلى نطاقه، ودفع بها إلى اللاشعور، واتخذ مواقف ضد بعض الانطباعات الجديدة مع أنه كان في وسعه أن يدخلها في نطاقه، ولكنه نبذها ولم تخلف أثراً إلا في الهو فقط ويدعى هذا الجزء من الهو ب(الهو المكبوت) ويقصد به الهو الذي لا يستطيع أن يصبح شعورياً بدون الكثير من العناء. أما النوع الثاني هو الذي يستطيع أن يصبح شعورياً ببساطة.

لا يمكننا حقيقة أن نميز تمييزاً قاطعاً بين هذين النوعين في الهو. وينطبق التمييز بين هذين النوعين على التمييز بين ما كان موجود في الهو أصلاً وما اكتسب خلال تطور الأنا.^١

إذاً ينقسم اللاشعور انقساماً هاماً: فهناك بعض العمليات تبدو شعورية، ولكن لا تلبث أن تعود إلى سيرتها الأولى، لكنها قد تصبح شعورية ثانيةً بلا عناء، أو يمكن أن تستعاد أو تتذكر. أيضاً هناك عمليات نفسية لا يتسنى لها الانتقال ببسر بل يتعين أن تستنتج و أن تكتشف و ثم تترجم إلى الصيغة الشعورية وهذه هي التي تحتفظ باسم اللاشعور بالمعنى الدقيق.^٢

يمكن القول أن التمييز بين اللاشعور والقبل شعورية قائم على علاقات معينة تفسر كيف تتحول الواحدة منها إلى الأخرى سواءً كان هذا تلقائياً أو بمعونتنا.^٣

>>وبالتالي نجد أن للعمليات النفسية كصفات ثلاث إما شعورية أو لاشعورية أو قبل شعورية، ولا يمكن الفصل بين الكيفيات الثلاثة بشكل مطلق فما هو قبل شعوري يمكن أن يصبح شعورياً بدون تدخل من جانبنا، وما هو لاشعوري يمكن أن يصبح شعورياً بدون تدخل من جانبنا، وما هو لاشعوري يمكن أن يصبح شعورياً بفضل جهودنا.<<^٤.

الأحلام:

^١ سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، الصفحة ٤٩-٥٠ بتصرف

^٢ سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، الصفحة ٤٥ بتصرف

^٣ سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، الصفحة ٥١ بتصرف

^٤ سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، الصفحة ٤٦

تشكل الحلم وأساسيات تكوينه:

في حالة النوم تقل المقاومة التي تمنع ما هو لاشعوري بالعودة إلى ما هو شعوري فيندفع المضمون اللاشعوري ليتوفر شرط تكون الأحلام

/وببحث الحالات السوية المستقرة التي تكون فيها حدود الأنا مؤمنة صامدة حيال الهو بواسطة المقاومات (الشحنات المضادة) حيث لا يتمايز الأنا عن الأنا الأعلى لأنهما يعملان معاً في انسجام يتاح لمحتوى الهو اللاشعوري فرصة للتوغل داخل الأنا والشعور فيكافح الأنا من جديد لحماية نفسه من الغزو في هذه الأحوال فحسب يمكننا أن نقوم بمشاهدات تدعم أو تصحح آراءنا في الشريكين (الأنا والهو) وبشكل النوم حالة من هذا النوع. بما أن الأحلام ظاهرة شائعة في حياة الأسوياء مهما تمايزت خصائصه عن ظواهر حياتنا في اليقظة.

قد يكون الحلم مختلطاً أو خالياً من المعنى وقد يناقض مضمونه مع كل ما نعرفه عن الواقع أو نسلك فيه سلوك المجانين وذلك لأننا عندما نحلم نضفي صفة الواقع على مضمونات الحلم.^١

/إذاً إن للحلم خصائصه التي تختلف عن خصائص التفكير العقلي، لأن التفكير العقلي يتوالى في تصورات ومعاني تكون مجردة. أما في الحلم فإن الفكرة تتشكل في صورة ناطقة متحركة فكأنها تتسلل متحررة عن العقل المنطقي لتعيش بعيداً عن الإرادة الواعية. وبذلك نجد أننا لا نفكر حينما نحلم إنما نعيش فقط لذلك نشعر بالذعر من المخاوف الموجودة في الحلم ونفرح للأحداث السارة فيه ولا نستطيع أن نفهم أننا لم نكن نعيش فعلاً تلك التجارب إلا بعد الاستيقاظ لنرى أن ما تراءى لنا في الحلم لا يتسق مع الواقع الذي يحيط بنا في حال اليقظة.

إذاً أثناء النوم يكون النشاط النفسي ناقص متحرر من الإرادة ورقابة العقل المنطقي لذا يأتي الحلم مفككاً مليئاً بالمتناقضات لا يعرف المستحيل فنصدق ما لا يمكن تصديقه ونقوم بأفعال لا نستطيع الإقدام عليها ونحن في اليقظة، ف ٩٠% من الباحثين يؤكدون أن الأحلام خالية من المعنى المعقود أو الترابط المنطقي.^٢

/وقد يتعرض الحالم لمؤثرات وهو نائم فيضيف عليها المبالغة والتحويل فإذا رأى النائم أنه يشوى وسط حريق ذات لهب فعندما يستيقظ يرى أن أحد أطرافه قد تعرض لبعض سخونة نتيجة ملامسة مدفأة أو ما شابه. فالحلم ليس تكراراً لما مر معنا في الماضي إنما هو تفرغ

^١ سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، الصفحة ٥٢ بتصرف
^٢ سيجموند فرويد، تفسير الأحلام، الصفحة ٢١ بتصرف

لشحنات اليقظة بما فيها من خير أو شر، فالطامح تدور أحلامه حول أكاليل الغار أما العاشق تدور أحلامه حول معبودة قلبه. فإن الحلم لا يستقل عن اليقظة استقلالاً تاماً بدليل أن الوقائع المفردة التي تتكون منها قصة الحلم مستمدة حتماً من تجاربنا الذهنية التي تكونت في اليقظة ولهذا فمهما بلغت درجة الحلم من الغرابة فلبنات بنائه مستعارة مما رآه أعيننا أو خطر لبالنا ونحن في وعينا.¹

/أحياناً نرى في أحلامنا بعض التفاصيل التي نعتقد أنه ليس لدينا أي فكرة عنها فيما سبق من خبرات اليقظة. ومن مثال ذلك ما رواه "ديلبوف":
أنه رأى الثلج وقد غمر فناء منزله فطمر اثنتين من الحرياء حتى أوشكتنا أن نتجمداً فرق لهما قلبه ورفعهما من الثلج، ويسر لهما التدفئة ثم وضعهما في طاق بالجدار وقدم إليهما من الأوراق الخضراء لنبات ووجد نفسه وهو في الحلم يعرف اسمه اللاتيني بدقة. ولما استيقظ ديلبوف من حلمه عجب أنه لا يعرف الاسم اللاتيني لذلك النبات الأخضر فشرع بالبحث في القواميس عنه فإذا يجد الاسم الذي عرفه في الحلم صحيحاً. فشرع ديلبوف بأن في الأمر لغزاً ما. فكان من غير المستساغ أن يفسر ذلك بعامل الصدفة وبقي هذا اللغز يحير الفيلسوف ستة عشر عاماً إلى أن ذهب لزيارة أحد أصدقائه فرأى عنده ألبوماً به نماذج من الأزهار المجففة التي تباع في سويسرا فتح هذا الألبوم ليرى فيه نموذجاً للنبات الذي رآه في حلمه ووجد تحته ذلك الاسم اللاتيني مدوناً بخط اليد ولكن لقد كان خط ديلبوف نفسه وعندئذ عرف ديلبوف حل ذلك اللغز فقبل حلمه بعامين كانت أخت صديقه الذي يزوره في ذلك اليوم تقوم برحلة شهر العسل، ومرت في طريقها ببيت ديلبوف، ونزلت ضيفة عنده، وكانت قد أحضرت معها من سويسرا ذلك الألبوم وفي نيتها أن تهديه لأخيها وتذكر ديلبوف أنه ساعد العروس بأن كتب بخط يده تحت نموذج كل نبات في الألبوم اسمه العلمي باللاتينية مستعيناً في ذلك بأحد المتخصصين في علم النبات. إذاً ما نظنه نحن أنه لغز في أحلامنا يكون عبارة عن ذكرى واقعية منسية.

من طرائف الأحلام أيضاً أن ما يعجز من التعرف إليه في حلم قد يقوم حلم آخر بدور المذكر فيه ومن ذلك ما رواه أحدهم:

إنه رأى ذات مرة حساناً ذهبية الشعر تُطلع أخته على قطعة من أشغال التطريز، وشعر في الحلم أن وجه هذه السيدة غير غريب عنه وأنه رآها قبل مرة، وعندما صحت من النوم ظل وجه

¹ سيجموند فرويد، تفسير الأحلام، الصفحة ١٣ بتصرف

هذه السيدة أمامه، ولكن ذاكرته لم تسعفه بالتعرف على شخصيتها وعندما يئس من محاولة التعرف عليها أغمض عينيه مرة أخرى ليرى الحلم السابق فانتهاز الفرصة هذه المرة وسأل تلك السيدة أين عساه أن رآها من قبل، فدهشت وقالت له: هل نسيت حقاً شاطئ البحر في موضع كذا. وعندئذٍ صحي من نومه واستطاع أن يتذكر كل ما يتعلق بظروف تعرفه على تلك السيدة الحسنة.

إذاً من البديهي أن فترة الطفولة هي أهم مورد تستمد منه الأحلام التفاصيل المهجورة والمنسية أي من التفاصيل التي غبر عليها الزمن بحيث أن الشخص يعجز في كثير من الأوقات عن تذكر خبراته السابقة ويظن أن الحلم أتاه بمعجزة ليس له بها سابق عهد.^١

/يقسم العلماء مصادر الأحلام إلى أربعة مصادر:

١. إثارات حسية تأتي من خارج الجسم :

فمثلاً إن كل صوت لا تميزه أذن المرء تماماً، وهو نائم، لا بد أن يثير صوراً تتسق معه في الحلم. فعلى سبيل المثال من يسمع صوت الرعد وهو نائم يحلم بساحة قتال أو مثلاً من يصيبه قشعريرة وبرد وهو نائم فيحلم انه سقط ببركة ماء ومن يدخل رأسه تحت الوسادة وهو يتقلب جدير أن يحلم بصخرة كبيرة تتأرجح، وهكذا .

٢. إثارات حسية تأتي من الجسم ذات.

هو مثال هذه الإثارات الجوع والعطش و الرغبة في التبول.

٣. إثارات عضوية باطنية

٤. إثارات عضوية خالصة.^٢

أحلامنا تُنسى:

/لماذا ننسى معظم أحلامنا بعد اليقظة؟؟!! فكثيراً ما نذكر أننا حلمنا، ولكن لا نتذكر ماذا حلمنا، وحتى ما نتذكره يكون ناقصاً مشتتاً، وأحياناً نشعر أن ما احتفظت به ذاكرتنا من الحلم جزء ضئيل مما أتى عليه النسيان وبالمقابل يوجد بعض الأحلام التي تثبت في الذاكرة بشكل غريب فيمكن أن نتذكر حملاً مر عليه ربع قرن أو حتى أربعون عاماً. ويأتي هذا التناقض

^١ سيجموند فرويد، تفسير الأحلام، من الصفحة ١٦ إلى الصفحة ١٨ بتصرف

^٢ سيجموند فرويد، تفسير الأحلام، الصفحة ١٨ بتصرف

الغريب نتيجة الصعاب التي تكتنفها الذاكرة لتذكر الأحلام فنحن نميل في حال اليقظة إلى ملء الفراغات الموجودة في الحلم بأحداث أو أقوال متخيلة ونحن لا ندري، وذلك لأن العقل الإنساني يميل إلى الربط بين الأحداث المتفرقة برباط منطقي، فبهذا تزيد صعوبة اعتمادنا على الأحلام باعتبارها واقعاً نفسياً يفيد في التحليل أو العلاج حتى^١.

/ إذا نحن ننسى القسم الأكبر من أحلامنا وحتى الأجزاء التي نتذكرها تظل تتناقص في الوضوح شيئاً فشيئاً مع تقدم ساعات النهار، فالجزء الذي نذكره من أحلامنا هزيل ضئيل في العادة، ففي هذه الحالة نحن مضطرين أن نصب قدراتنا في التفسير على هذا الجزء الضئيل وليس هناك ما يضمن لنا أن ذاكرتنا لم تخذعنا أو أن حلمنا ليس مفككاً أو خالياً من الثغرات، وأيضاً ما الذي يؤكد لنا أن العقل عندما يروي الحلم لا يحاول ملء بعض من الثغرات بمعلومات لم يكن لها في الحلم أثر؟ فكما رأينا إن العقل ينكر الفراغ ويجمع الشتات في كل مؤتلف. فمن المحتمل أن كل أحلامنا ترد إلى أذهاننا مفككة وجميع الروابط من فعل الذهن الواعي، إذاً نجد أن ذاكرتنا ليس هناك ضمان لمصداقيتها في رويها لأحداث الحلم أو لأحداث اليقظة، فإذا كنا نرتاب أحياناً في أن تكون رواية الذاكرة محرفة، فمرجع هذا الارتباب يرتكز على الدور الذي تقوم به الرقابة الشعورية بالنسبة للأحلام، فهذه الرقابة تمنع ما تستطيع منعه من مادة اللاشعور حتى لا يطفو إلى دائرة الشعور. ولكن ما ينفذ من رقابتها ويفلت ولو متتكرراً تحاول الرقابة أن تحتجزه من الذاكرة و بهذا يكون النسيان أو (التغيير عند التذكر) عملية مشابهة لعملية تشويه نفسها، إذاً إن الموضوع الذي يطغى عليه النسيان- عند إعادة الرواية- إنما يكون عنصراً وثيق الصلة بالمضمون الخفي. بالتالي تكون العوامل التي تسبب في نسيان جزء من أجزاء الحلم عند تسجيله، فور اليقظة، وعادةً ما يكون لها تأثير في الحلم ومضمونه أهم بكثير من تأثير العناصر التي لم يطرأ عليها النسيان.

عندما يروي الإنسان حلمه عدة مرات، فعند تكراره للحلم سينسى عدة مواضع ما تفسير ذلك؟؟ إن هذه المواضع التي سينساها أثناء التكرار تكون المواضع الأكثر أهمية خاصة لأنها تكون أكثر تعرضاً للرقابة وكأن الحالم يعلم أن في هذه المواضع بالذات يكمن فيها خطر اقتضاح سره فيعمد إلى إخفائها عن عين المحلل أو بصيرته، فنكون هذه المواضع بداية الخيط الدال على

^١ سيجموند فرويد، تفسير الأحلام، الصفحة ٢٠-٢١

السر. وتطبق هذه القاعدة على المواضيع التي يحولها الحالم إلى مواضع أكثر غموضاً عند إعادة روايته للحلم فيكون بذلك يهدف إلى الإبهام والتعمية.

من أهم قواعد التحليل النفسي أن كل مقاومة ناتجة عن فكرة ممنوعة مستترة في اللاشعور يحاول الرقيب أن يبقيها مستترة مهما كانت أي أن كل ما من شأنه أن يعطل التحليل أو يضلله يعتبر نوعاً من أنواع المقاومة، ومنها نسيان الأحلام بجميع درجاته، وهذا النسيان سيقى مسألة غير مفهومة ما لم نربط بينه وبين الرقابة الشعورية، ومن أقوى الدلائل على ذلك أن المثابرة على التحليل تؤدي في الغالب إلى تذكر ما يخيل إلينا أننا نسيناه من أقسام الحلم وهذا عمل شاق جداً يحتاج إلى مهارة وصبر ودراية. وبالتالي يعد من الطبيعي أن يتذكر الإنسان حلمه -الذي نسيه فور استيقاظه- بعد عدة أيام من رؤيته للحلم.^١

الأحلام النموذجية :

/أول ما يجب أن نذكره كتصنيف لبعض أنواع الأحلام:

لدينا الحلم الذي له علاقة وثيقة بأحداث اليوم السابق أو بأحداث يوم قريب ولكن الأولوية هنا غالباً ما تكون لأحداث اليوم السابق.^٢

/وبمقابل الأحلام التي تعتمد على أحداث اليوم السابق. يوجد هناك أحلام أحداثها موعلة في القدم -تكون هذه الأحداث قد وقعت منذ زمن طويل منذ عهد الطفولة الأولى - بحيث يخيل للإنسان أن ذاكرته قضت عليها ولم يعد من المستساغ مشاهدتها لتظهر في أحلامنا بكل بساطة.

وهناك نوع من ثالث الأحلام يدعى الأحلام الراجعة. يراود هذا الحلم الشخص منذ طفولته إلى أن يكبر ويتكرر بين الحين والحين دون أن يتغير تغيرات بسيطة جداً.

على سبيل المثال: سأذكر قصة طبيب جاوز عمره الثلاثين كان لا يزال يرى في حلمه بين الحين والحين أسداً صغيراً أصفر اللون. والطريف في الأمر أنه لا يزال يظهر له هذا الحلم منذ صغره، وبقي هذا الطبيب يجهل مصدر الحلم العجيب، حتى وجد في النهاية بين ألعاب الطفولة

^١سيجموند فرويد، تفسير الأحلام، من الصفحة ١٤٨ إلى الصفحة ١٥٣

^٢سيجموند فرويد، تفسير الأحلام، الصفحة ٥٤ بتصرف

أسداً صغيراً أصفر اللون، وعندما سأل أمه عنه أخبرته أن هذا الأسد كان لعبته المفضلة في صغره، ولكن الغريب أنه عندما حلم به كان قد نسي أمره تمام النسيان. مع ذكر أنه ليس من الضروري أن نستخدم كل مشاهد الطفولة التي طمرها النسيان في أحلامنا بل يكفي أن تشكل ذاكرتنا الطفولية لمحة واحدة من لمحات الحلم دون أن تكون لبقية أجزاء الحلم علاقة بباقي الذكريات.^١

الأحلام النموذجية:

/هذه الأحلام تجري على غرار واحد لدى الجميع فلا يكاد يختلف فيها حالم عن حالم ولا يكاد يختلف المعنى عند الحالمين فهذه الأحلام تجري على منوال واحد وتستمد وحدتها وتشابهاها من صدورها عن علة واحدة لدى أغلب الناس.

على سبيل المثال: عندما يموت الأحياء :

نرى في هذا النوع من الأحلام النموذجية أن شخصاً نحبه قد مات وربما كان هذا الشخص والد، والدة، أخ، أو أخت فننقف الآن حالتين من هذا النوع من الأحلام:

في الحالة الأولى: عندما لا يهتز فيه وجدان الحالم على موت ذلك الشخص حتى أنه يلوم نفسه عند الاستيقاظ على جمود عواطفه.

أما في الحالة الثانية: عندما يشعر الحالم بحزن عظيم وألم كبير ويزرف الدموع مدرارة على موت ذلك الشخص.

ما الفرق بين النوعين الأول والثاني؟

في الحالة الأولى: فهو حلم غير نموذجي إنما يسعى لتحقيق رغبة أخرى خفية فمثلاً ذات مرة رأت شابة في حلمها ابن أختها الوحيد مسجى في تابوته ومن حوله الشموع ولم تحزن عندها لموته لأن الرغبة التي يسعى إليها الحلم ليس وفاة ابن الأخت إنما خلق فرصة للقاء حبيبها فهنا نجد أن في المحتوى الباطني للحلم ليس هناك ما يدعو إلى الحزن.

^١ سيجموند فرويد، تفسير الأحلام من الصفحة ٥٤ على الصفحة ٦٠

أما في الحالة الثانية أي البكاء على موت هذا الشخص العزيز فمحتواها الحقيقي هو الرغبة في موت ذلك الشخص!. على سبيل المثال إذا حلم حالم أن أباه مات مثلاً وليس المقصود من ذلك أن الحالم يريد الموت لوالده في الوقت الحاضر بل معناه أن ذكرى مدفونة منذ زمنٍ بعيد في عهد الطفولة مثلاً. تتضمن هذه الرغبة التي كبتها اللاشعور فمعنى تحقق رغبة في الحلم لا يقتضي أن تكون رغبة حالية بل مجرد رغبة ساورت الحالم في عهد من عهود طفولته الأولى.^١

^١ سيجموند فرويد، تفسير الأحلام، الصفحة ٦٥-٦٦

الخاتمة

ومما سبق نجد أن التحليل النفسي يقوم على تقسيم الشخصية إلى ثلاثة أقسام وكل قسم منها يحوي كيفية معينة. مجموع عمل كل هذه الأقسام والكيفيات هو الذي يؤمن لنا التوازن النفسي في حياتنا.

نجد أيضاً أن الأحلام تعبر عن أحداث مرت معنا في الماضي، على عكس ما كان يقال بأنها تدل على المستقبل أو أنها تحمل رسائل القدر.

فالأحلام كما وجدنا هي أحداث مكبوتة وموجودة في اللاشعور تستغل ضعف المقاومة ليلاً لتنتقل إلى الشعور، فتعبر عن نفسها وتفرغ شحناتها. وهي عبارة عن حياة خالية من الترابط المنطقي لهذا السبب تبدو غريبة وتبدو ناقصة أحياناً لأن العقل يقوم بمحاولة الربط المنطقي لها، ليملاً الثغرات فينسى عندها جزء من الحلم. والحلم محاولة من الأحداث في اللاشعور أن تعبر عن نفسها فبالتالي الأحلام تساعد كثيراً في التخلص من الضغوط في اللاشعور. لكي نفهم أحلامنا يمكننا الاستعانة بالتحليل النفسي الذي سيفسر لنا الفكرة التي يعبر عنها هذا الحدث الهارب، لأن التحليل النفسي يبين الضغوط التي مرت علينا وبسببها حدث الحلم.

وبهذا تم البحث والحمد لله

المصادر والمراجع:

١. فرويد سيجموند، الأنا والهو، ترجمة: الدكتور محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، الطبعة الرابعة، ١٩٨٢

٢. فرويد سيجموند، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة: عبد السلام القفاش وسامي محمود علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠

٣. فرويد سيجموند، تفسير الأحلام، دار الهلال، العدد ١٣٧، ١٩٦٢